جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بني ملال

سلسلة : ندوات ومناظرات 3

ندوة

أبي العباس الجراوي

5 - 6 - 7 أبريل 1994

جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
بني ملال

سلسلة : ندوات ومناظرات 3

ندوة

أبي العباس الجراوي

5 - 6 - 7 أبريل 1994

اللجنة المنظمة

محمد الساوري

عز الدين الذهبي　　محمد بالاشهب

أبو بكر العزاوي　　محمد أزهري

تعبر الآراء الواردة في المقالات عن وجهة نظر أصحابها

الطبعة الأولى 1995

© جميع الحقوق محفوظة

الفهـرس

الجلسة الافتتاحية

ـ كلمة السيد قيدوم الكلية..... 9

ـ كلمة اللجنة المنظمة..... 11

المحور الأول
أبو العباس الجراوي، حياته وعصره

ـ «أبو العباس الجراوي : نظرات في ترجمته»..... 17
ذ. عبد السلام شقور (كلية الآداب، تطوان)

ـ «عصر أبي العباس الجراوي : ملامح من نهضة فكرية»..... 29
ذ. أحمد بوكاري (كلية الآداب، مراكش)

المحور الثاني
شعر أبي العباس الجراوي
الجوانب الشخصية والتاريخية

ـ «الشاعر أبو العباس الجراوي في سياق المنافرة بين العدوتين»..... 41
ذ. محمد بنشريفة (الخزانة العامة، الرباط)

ـ «القيمة الوثائقية لشعر الجراوي»..... 53
ذ. حسن جلاب (كلية اللغة العربية، مراكش)

ـ «نظرات مركزة على حياة وشخصية وشعر وشاعرية أبي العباس الجراوي»..... 69
ذ. الشبيهي حسني حسن (كلية الآداب، فاس)

ـ «التاريخي واللاتاريخي في شعر أبي العباس الكَراوي من خلال «البيان المغرب»»..... 79
ذ. العربي الحمدي (كلية الآداب، بني ملال)

المحور الثالث
شعر أبي العباس الجراوي
الجوانب الفنية والنقدية

— «أدب الجراوي، بعض مكوناته وسماته»..... 97
ذ. عبد الجواد السقاط (كلية الآداب، المحمدية)

— «قوة الاقتباس في شعر أبي عباس الجراوي»..... 111
ذ. عبد الله بن عتو (كلية الآداب، الجديدة)

— «أثر أبي تمام في مدائح أبي العباس الجراوي»..... 129
ذ. عبد العزيز الحلوي (كلية الآداب، تطوان)

— «لمحات نقدية عند الجراوي من خلال شعره»..... 155
ذ. محمد أزهري (كلية الآداب، بني ملال)

المحور الرابع
الحماسة المغربية لأبي العباس الجراوي

— «الحماسة المغربية وقيمتها الأدبية»..... 171
ذ. بوشتى السكيوي (كلية الآداب، المحمدية)

— «حماسة أبي تمام الطائي — حماسة أبي العباس الجراوي، دراسة مقارنة» 207
ذ. محمد كَنون الحسني (كلية الآداب سايس، فاس)

— مفهوم الشعر عند أبي العباس الجراوي من خلال شعره وحماسته». 223
ذ. محمد بالأشهب (كلية الآداب، بني ملال)

المحور الخامس
أبو العباس الجراوي في آثار الدارسين

— «التلقي المحجوز : الجراوي نموذجا»..... 237
ذ. محمد جاري (كلية الآداب، مراكش)

— ««أبو العباس الجراوي : شاعر الموحدين» : ملاحظات منهجية».... 245
ذ. عز الدين الذهبي (كلية الآداب، بني ملال)

— «أبو العباس الجراوي في الدراسات المغربية الحديثة»..... 267
ذ. محمد الحاتمي (كلية الآداب، أكَادير)

لمحات نقدية
لدى الجراوي من خلال شعره

الأستاذ محمد أزهري
كلية الآداب - بني ملال

ملخص

تذكر كثير من الدراسات أن أبا العباس الجراوي كان ناقدا إلى جانب كونه شاعرا. إلا أن النصوص التي تثبت ذلك تعوزنا، لذلك لم نجد بدا من التنقيب في شعره في محاولة للعثور على بعض النصوص النقدية، لكننا لم نعثر إلا على أبيات قليلة فيها بعض اللمحات النقدية حاول هذا العرض أن يلم بها، ويبين طبيعتها.

لمحات نقدية لدى الجراوي من خلال شعره

ذ. محمد أزهري
كلية الآداب ــ بني ملال

موضوع هذا العرض هو : لمحات نقدية لدى الجراوي من خلال شعره. ونعني بذلك بعض النظرات النقدية التي تعنى بالعملية الشعرية، أو بمبدعها، أو بهما معا، وذلك انطلاقا من شعر أبي العباس الجراوي. وفي قولنا «من خلال شعره» احتراز من إدخال الشعر الذي اختاره في «الحماسة المغربية»، وذلك لأننا نعرف أن من يختار شعرا ما، لابد أن يدخل في اعتباره مجموعة من المقاييس النقدية وهو يختار. وقد قيل : «اختيار المرء بعض من عقله». ولهذا اقتصرنا في هذه الدراسة على ما وصلنا من شعر الجراوي.

وقبل أن نخوض في الموضوع لا بأس من أن نمهد له بتمهيد، نتحدث فيه عن أهمية نقد الشعر من لدن الشعراء أنفسهم. فإذا عدنا إلى الدراسات التي ألفت عن الشعراء، نجد أنها اهتمت، في غالبها، بإنتاجهم الشعري، فدرسته من زوايا علمية مختلفة : بعضها فني، وبعضها تاريخي، وبعضها نفسي واجتماعي،... وتم إهمال دراسة إنتاجهم النقدي. واعتمدت الدراسات، أساسا، على نقد النقاد والعلماء. ولم نعثر في هذا الصدد إلا على دراسات قليلة، منها كتاب الدكتورة هند حسين طه : «الشعراء ونقد الشعر منذ الجاهلية حتى نهاية القرن الرابع الهجري»[1]، ومنها كتابا الدكتور الشاهد البوشيخي اللذان ركز فيهما على المصطلح النقدي لدى الشعراء إلى غاية القرن الثاني الهجري، وهما : «مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين»[2]، و«نصوص المصطلح النقدي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين»[2].

(1) طبع طبعته الأولى بمطبعة الجامعة المستنصرية ببغداد، سنة 1986.

(2) طبع الطبعة الأولى بمنشورات القلم، مطبعة النجاح، الدارالبيضاء. سنة 1993.

إن المتمعن في مئات الدواوين والمجموعات الشعرية، وكذا في كتب الأخبار والتراجم، وكتب الأدب العامة، وكتب البلاغة والنقد، سيجد حتما عددا هائلا من النصوص النقدية، منها ما هو شعري، ومنها ما هو نثري. فالشعراء بدورهم تركوا لنا تراثا نقديا ينبغي التنقيب عنه في مثل هذه الكتب المتنوعة. وهو تراث سيبرز لنا، ولا شك، دور الشعراء في النقد، إلى جانب دور العلماء النقاد.

وقد تنبه بعض الدارسين، قدماء ومحدثين، لأهمية نقد الشعراء بصفة خاصة، والأدباء بصفة عامة، فأبرزوا ما له من خصوصيات.

فهذا الجاحظ، مثلا، شعر بما بين نقد العلماء ونقد الشعراء من فروق، فقال : «ولم أَرَ غاية النحوين إلا كل شعر فيه إعراب. ولم أر غاية رواة الأشعار إلا كل شعر فيه غريب، أو معنى صعب يحتاج إلى الاستخراج. ولم أر غاية رواة الأخبار إلا كل شعر فيه الشاهد والمثل... ورأيت البصر بهذا الجوهر من الكلام في رواة الكتَّاب أعمَّ، وعلى ألسنة حذاق الشعر أظهر»[3].

ونقل ابن رشيق في عمدته أن الجاحظ قال : «طلبتُ علم الشعر عند الأصمعي، فوجدته لا يحسن إلا غريبه، فرجعت إلى الأخفش، فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة، فوجدته لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار، وتعلق بالأيام والأنساب. فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتَّاب، كالحسن بن وهب، ومحمد بن عبد الملك الزيات»[4]. إن هذا وغيره يؤكد أن الشعراء والأدباء هم أدرى بطرق الشعر. وتذكر لنا الأخبار، في هذا الصدد، أن عُبَيْدَ الله بن عبد الله بن طاهر سأل البحتري يوما : «يا أبا عبادة، أَمُسْلِمٌ[5] أَشْعَرُ أم أبو نواس ؟ فقال : أبو نواس، لأنه يتصرف في كل طريق، ويبرع في كل مذهب لا يتخطاه. فقال له عبيد الله : إن أحمد بن يحيى ثعلبا لا يوافقك على هذا. فقال : أيها الأمير، ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر، ولا يقوله، وإنما يعرف الشعر من دُفِعَ إلى مضايقه. فقال : وَرِيَتْ بك زِنَادي يا أبا عبادة، إن حكمك في عميك

---

(3) البيان والتبيين : ج 4، ص 24.

(4) العمدة : ج 2، ص 736.

(5) هو مسلم بن الوليد الأنصاري الشاعر المشهور بصريع الغواني (ت. 208هـ).

أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق، فإنه سئل عنهما، ففضل جريرا، فقيل : إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا، فقال : ليس هذا من علم أبي عبيدة، فإنما يعرفه من دفع إلى مضايق الشعر»[6].

وشبيه بهذا ما قاله ابن الرومي للبحتري في حق ثعلب : «لقيني البحتري يوما ومعي دفتر، فقال : ما هذا ؟ فقلت : شعر الشَّنْفَرَى. فقال : وإلى أين تمضي ؟ فقلت : إلى أبي العباس ثعلب، فقال لي : قد رأيت أبا عباسكم هذا منذ أيام عند ابن ثَوَابَة[7]، فما رأيته ناقداً للشعر، ولا مميزا للألفاظ، وجعل يستجيد شيئا وينشده وما هو بأفضل الشعر. قلتُ : أما نقده وتمييزه فإن هذه صناعة أخرى، ولكنه أعلم الناس بإعراب الشعر وغريبه»[8].

إن هذه النماذج تبرز لنا ما لنقد الشعراء من أهمية قد لا تقل عن نقد العلماء. فهذا داع للبحث في الموضوع، إلى جانب دافع آخر، وهو أن كثيرا من الدراسات التي تناولت الجراوي تنص على اعتباره ناقدا وشاعرا في نفس الوقت :

1 ــ فقد ذكر الأستاذ حسن الشبيهي في دراسته عن الجراوي أن الأستاذ محمد الفاسي يعلن «أن أبا العباس كان شاعرا مثقفا، ويثبت بأنه قد تخرج على يديه كعالم من رجال النقد الأدبي جماعة، ذكر منهم ابن الأبار شيوخه أبا الحسن سهل بن مالك، وأبا الربيع بن سالم، وأبا عبد الله بن عبد الجبار الرعيني، وهم من خيرة علماء القرن السابع الهجري بالأندلس»[9].

2 ــ وقال عنه الأستاذ عبد الله كنون : «إنه كان قوي النفس، شديد الشكيمة، عظيم الجرأة ولذلك لم يكن يسلّم لأحد... وقد رأيناه ينتقد الشعراء

---

(6) العمدة : ج 2، ص 734.

(7) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة بن خالد الكاتب، تولى كتابة الإنشا في دار الخلافة بسامرا سنين عديدة. ومات سنة 277هـ.
أُنظر : معجم الأدباء : ج 4، ص 144 ــ 174.

(8) أخبار البحتري : ص 135 ــ 136.

(9) أبو العباس الجراوي، شاعر الموحدين : ص 119. وأحال المؤلف على سلسلة مقالات للأستاذ الفاسي تحت عنوان : «الشاعر الكبير أبو العباس الجراوي» بمجلة رسالة المغرب، ع 5، يناير 1943، ص 12. وع 7، فبراير 1943، ص 11.

في حضرة الخليفة، ويُقدِم على الكلام في تلك الأوساط الحافلة برجال العلم والأدب، مما يدل على اعتداده بنفسه كثيرا»[10].

3 ــ وقال عنه خير الدين الزركلي : «كان غيورا على الشعر، حسودا للشعراء، ناقدا عليهم، غير مسلم لأحد منهم»[11].

4 ــ ولعل هذا ما جعل الأستاذ الشبيهي يستخلص هذه الخلاصة : «اعتبر معظم دارسي الأدب المغربي أن أبا العباس الجراوي نبغ في نظم الشعر وروايته ونقده، واتسم بسمات أدبية شاعرية ممتازة...»[12].

هذه النماذج من الدراسات، إذن، تذكر بأن الجراوي كان ناقدا. فما هي طبيعة النقد عنده ؟

حينما عدنا لاستقصاء النقد الذي أُثِر عنه، لم نعثر في المصادر التي تناولت حياته وأخباره إلا على نص واحد فريد، جاء فيه أن الشاعر أبا بكر بن مجبر «أنشد يوسف بن عبد المومن يهنيه بفتح :

إنَّ خير الفتوح ما جاء عفوا مثل ما يخطب الخطيب ارتجالا

وكان أبو العباس الجراوي حاضرا، فقطع عليه لحسادة وجدها، وقال : يا سيدنا اهْتَدَمَ بيت وضّاح :

خير شراب مـا كان عفـوا كأنَّـهُ خطبـة ارتجالا

فبدر المنصور، وهو حينئذ وزير أبيه، وسنه قريب من العشرين، وقال : إذا كان اهتدمه فقد استحقه لنقله إياه من معنى خسيس إلى معنى شريف»[13].

نجد في هذا النص حكما نقديا يتعلق بنوع من السرقة، هو الاهتدام. قال ابن فارس : «الهاء والدال والميم : أصْلٌ يدل على حَطٍّ بِناء، ثم يقاس عليه»[14]

---

(10) ذكريات مشاهير رجال المغرب : ع 6، ص 25.

(11) الأعلام : ج 1، ص 150.

(12) أبو العباس الجراوي، شاعر الموحدين : ص 13.

(13) نفح الطيب : ج 4، ص 225.

(14) معجم مقاييس اللغة، مادة : هدم.

والاهتدام اصطلاحا : نوع من أنواع السرقة، يتم فيه أخذ المعنى كله مع تعديل طفيف في اللفظ. قال ابن رشيق : «والاهتدام نحو قول النجاشي :

وكنتُ كذي رجلين رجلٍ صحيحة ورِجلٍ رمتْ فيها يدُ الحَدَثَانِ

فأخذ كثيّر القسم الأول، واهتدم باقي البيت، فجاء بالمعنى في غير اللفظ، فقال :

وكنتُ كذي رجلين رجلٍ صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فَشُلَّتِ»[15]

إن قلة النصوص النقدية النثرية التي أثرت عن الجراوي، جعلتنا نعرِّج على أشعاره لاستخلاص ما يوجد فيها من نصوص نقدية، لكن للأسف الشديد، لم يصلنا من شعره المحقق النسبةإليه سوى ستين وخمسمائة بيت شعري، إضافة إلى المخمسة التي بناها على أعجاز معلقة امرىء القيس، وعددها واحد وثلاثون تخميسا. مع العلم أنه كان له ديوان شعر وقف عليه ابن الأبار.

وعند قراءة هذا الشعر استخرَجْنَا منه اثنين وثلاثين بيتا فقط، هي التي عثرنا فيها على بعض اللمحات النقدية. ومن ثم فهذا العدد الضئيل لا يشكل إلا 5,7 % مما وصلنا من شعره. وهذا يعني أن النتائج التي سيتوصل إليها هذا البحث تبقى نسبية، ولا تعطينا تصورا واضحا عن النقد لدى الجراوي. وإن العثور على باقي شعره المحجوب عنا هو الكفيل بإكمال ذلك التصور.

ويمكن تصنيف تلك اللمحات النقدية إلى مايلي :

1 ــ أقسام الأدب وفنون الكلام

2 ــ مكانة الشاعر الفنية

3 ــ مفهوم الشعر

1 ــ أقسام الأدب وفنون الكلام :

عثرنا في بعض شعر الجراوي على ذكر القسمين الكبيرين من أقسام الأدب اللذين هما : الشعر والنثر. وقد ورد ذكرهما مرتين عل شكل مطابقة. كماحصل بينهما تناسب على مستوى الوزن، وذلك مراعاة لإيقاع الشعر. فكان «النظم» في مقابل «النثر» في قوله :

(15) العمدة : ج 2، ص 1048.

هو الفتح أعيى وصفه النظم والنثرا وعمت جميع المسلمين به البشرى[16]

وكان «المنثور» في مقابل «الموزون»، في قوله في أبي يعقوب :

لا يبلغ المنثور إلا بعض مـا ترضى لك العليا ولا الموزون[17]

كما وجدنا تعدادا لفنون الكلام. فمن الفنون النثرية هناك الحكمة، والمثل، والخطبة. قال الجراوي مشيداً بمآثر العرب :

وكم لهم من حكمة تبهر النهى ومن مَثَل في الشرق والغرب سائر
ومن خطبة تَسْتَنْزِلُ العُصْمَ من عَلٍ وتقضي بتكبيل النفوس النوافِر[18]

وقد نعت المثل هنا بالسيرورة. فالمثل السائر هو «الذي يشيع بين الناس، حتى يصبح جاريا على ألسنتهم»[19].

وبالنسبة للفنون الشعرية وجدنا المصطلحات الدالة على الأغراض التالية : المدح، والثناء، والوصف.

أ ــ المدح : حظيت مصطلحات غرض المدح بذكر كثير، وبصيغ مختلفة، هي : المديح ــ المِدحة ــ يَمْدَحُ ــ المدَح ــ الأمداح ــ المدائح ــ الامتداح. ولاغرابة في ذلك مادام شاعرنا مدّاحا بالدرجة الأولى. وهو القائل في أبي يعقوب :

عُذرا أبا يعقوب إن عـلاكم قد أفْنَتِ الأمداحَ وهي فنـونُ
كم مدحة لك بعدها من فوزة تـزن المدائـح كلهـا وتزيـن[20]

ب ــ الثناء : وهو «قول الشعر الذي فيه تعديد محاسن المُثنى عليه وذكر محاسنه»[21]. وقد ورد المصطلح بصيغة اسم الفاعل «مُثْنٍ»، في قول الجراوي في الخليفة المنصور :

---

(16) البيان المغرب : ص 222.
(17) شاعر الخلافة الموحدية : ص 1 من الملحق.
(18) نفسه : ص 5 من الملحق.
(19) المصطلح النقدي في تراث أبي بكر الصولي : ج 1، ص 185.
(20) شاعر الخلافة الموحدية : ص 1 من الملحق.
(21) مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والاسلاميين : ص 231.

يقصِّر فيه كلّ مُثْنٍ وإن غَـلاَ وأجرى إلى أقصى نهايته الفكرا[22]

ج ــ الوصف : وهو «نعت الشخص أو الشيء شعرا، وتعداد خصائصه وأحواله»[23]. وقد ورد بصيغة المصدر في قول الجراوي :

مَنْ رَام وصفك مستوفى فغفلتـه يُبْدِي، ومن فهمه عند الورى يَضَعُ[24]

وقال في نفس الممدوح أيضا :

قـد أصلـيت نارهـا العـداة وأنجزت فيهم العـدات
وعمهـم بالدمـار يـوم تـقصِّر عـن وصفـه الـرواة[25]

وهذه الأغراض وغيرها إما أن تنظم على بحر الرجز فيكون الشكل رجزا، ويكون القائل مُرَجِّزاً ؛ وإما أن تنظم على غيره من البحور، فيكون الشكل قصيدا، ويكون القائل مُقصِّداً. قال الجراوي يمدح الناصر، بعد فتح ميورقة :

هو الفتح أعيى من أطال مُرَجِّزاً وفات مَدَاهُ من أطال مُقَصِّدَا[26]

2 ــ مكانة الشاعر الفنية :

وجدنا شاعرنا يمجد نفسه من الناحية الفنية، ويشيد بشاعريته، ويفخر بشعره. وهذه عادة تعاور عليها كبار الشعراء العرب، منذ العصر الجاهلي. من ذلك، مثلا، قوله :

يا سيدي جاءتك رقعة شاعـر شهدت لـه الشعـراء بـالإحسانِ
لـو أدرك النعمـانَ في أيامـه لـرأى لـه فضلا على الذبيـاني
أو كان في بنـــي حمدان لم تبهج بأحمدهـا بنـــو حمدان[27]

فمكانتُهُ الفنية سامية يشهد بها الشعراء، لدرجة جعلته يبز النابغة الذبياني وأبا فراس الحمداني. وقد صرح بأنه لم يصل إلى تلك المكانة إلا بعد أن سار على

---

(22) شاعر الخلافة الموحدية : ص 8 من الملحق.
(23) المصطلح النقدي في تراث أبي بكر الصولي : ج 2، ص 427.
(24) البيان المغرب : ص 209.
(25) نفسه : ص 224.
(26) نفسه : ص 242.
(27) العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين : ص 216.

منوال فحول الشعراء العرب، من جاهليين، وإسلاميين، وعباسيين. ذكر منهم زياد ابن معاوية وهو النابغة الذبياني، وحسان بن ثابت، وذلك في قوله يمدح المنصور :

وإني مع الإحسان عنكم مُقَصِّرٌ ولو كان في عوني زيادٌ وحسَّانُ[28]

كما ذكر منهم أبا تمام في قوله :

أضحى حبيب كاسمه لما غدا لي في المنام على امتداحك مُنْجِدَا
أوصى إلي فقمتُ غير مُضَيِّعٍ لوصاية منه أغنِّي مُنْشِدَا[29]

إن الشاعر يعمل كل ما في وسعه لتجاوز أي تقصير في شعره، وخاصة إذا كان بصدد غرض المدح ؛ وذلك حتى تخرج قصائده على الوجه الأكمل. وقد نحا الجراوي هذا المنحى، فإذا به يعيد النظر في قصائده، ويجهد نفسه ليحظى شعره بالتقبل الحسن. وقد عَبَّر عن هذا المعنى مرات عديدة، منها قوله في أبي يوسف، مثلا :

جارى مناقبكم شِعْرِي فقصَّر عن بلوغ أدنى مَدَاهَا وهو مجهود[30]

ومنها أيضا قوله في بيعة أبي عبد الله الناصر لدين الله :

بَثَّ المَدَائِحَ فالبليغُ مُقَصِّرٌ ولو أنه نظم الكواكب أَحْرُفا[31]

3 ــ مفهوم الشعر :

على الرغم من سيادة بعض تعاريف الشعر التي تركز على بعض الجوانب الشكلية، من أوزان وقوافٍ و... فإن شاعرنا لم ينسق مع تلك التعاريف ؛ إذْ اعتبر الشعر إبداعا أولا وأخيرا، ومن ثم فالأوزان والقوافي، في نظره، تأتي في مرحلة ثانية. قال في إحدى قصائده :

أنا السابق المُرْبِي على كل سابق وللشعر ميدان رحيبٌ وفرسانُ
وما الشعر إلا السحر غير محرَّمٍ وإلا بما تُغْنِي قوافٍ وأوزان[32]

(28) شاعر الخلافة الموحدية : ص 4 من الملحق.
(29) أبو العباس الجراوي، شاعر الموحدين : ص 43.
(30) الغصون اليانعة : ص 102.
(31) أبو العباس الجراوي، شاعر الموحدين : ص 80.
(32) شاعر الخلافة الموحدية : ص 4 من الملحق.

فالشعر سحر. ولكن لايراد به هاهنا المعنى اللغوي الصرف : «عَمَل تقرِّب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه»[33]، أو «الأُخْذة التي تأخذ العين حتى يُظنَّ أن الأمر كما يُرَى وليس الأصل على ما يرى»[33]، بل يراد به المعنى المجازي الذي يجنح إلى التجويد الفني، والمهارة البيانية، بهدف التأثير في النفوس، وجذب الألباب. ويوضح هذا أكثر ما ذهب إليه الدكتور إحسان عباس في دراسة له عن ابن الخطيب، حين قال : «إن اختيار لفظة «السحر» عودة إلى أصول بدائية في تصوير أثر الكلمة التي تستطيع أن تحدث تأثيرا بالغا (أو تغييرا للواقع)، ثم ارتبط ذلك مع الزمن بالتعبير عن الاعجاب الغامر الذي لا يجد له المتلقي تعليلا إزاءنص من النصوص، وعن الحيرة التي تتملك ذلك المتلقي وهو يحس بنشوة طاغية أثارها ذلك الاعجاب، وفي مرحلة فنية متأخرة تقترن لفظة «السحر» بالكشف عن «الرائع« أو «الرفيع» أو «المعجز» في الآداب والفنون»[34].

وذهب نفس الباحث إلى أن كل كلام جميل، شعري أو نثري، يحدث ذلك التأثير، فقد يطلق عليه «سحر»، وعزز ذلك بقوله : «لعل الكثيرين يذكرون موقف الوليد بن المغيرة حين سمع آيات من القرآن الكريم لأول مرة، فقد رفض أولا أن يطلق على ما سمعه اسم «السحر»، فلما لم يجد لفظة أخرى تؤدي ما يحس به قال : والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة... وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر جاء بقول هو «سحر»[35].

وقد ارتبط مفهوم «السحر» بالشعر عند بعض الشعراء الآخرين، نذكر منهم، على سبيل المثال، شاعرا عباسيا ظهر قبل الجراوي، وهو ابن الرومي الذي قال :

في زخرف القول ترجيح لقائله ... والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول : هذا مُجَاجُ النحل تمدحه ... وإن تَعِبْ قلتَ : ذَاقَيْءُ الزنابير
مدحا وذما، وما جاوزتَ وصفهما ... سِحْرُ البيان يُري الظلمَاء كالنورِ[36]

---

(33) لسان العرب، مادة : سحر.

(34) لسان الدين ابن الخطيب والنقد. مقال بمجلة العربي (الكويتية) : ع 323، ص 103 ــ 104.

(35) نفسه، ص 104.

(36) ديوان ابن الرومي : ج 3، ص 1144.

كما نذكر منهم شاعرا أندلسيا ظهر بعد شاعرنا، وهو لسان الدين ابن الخطيب الذي قال :

خليليَّ إنَّ الشعر سِحْرٌ وإننـي إذا شئتما تحقيقه بابلُ السِّحْـرِ[37]

وقد آمن الجراوي بأن التفاضل بين الشعراء ينبغي أن يتم بناء على المقارنة الفنية بين أشعارهم، ثم الحكم عليها انطلاقا من مقاييس فنية محضة، مع إبعاد أي مقياس آخر، كالعلاقات الشخصية القائمة على المجاملة والمحاباة، وما إلى ذلك. يقول :

والشِّعرُ إن لم يكن في نفسه حَسَناً فما تُحَسِّنُهُ الأَصْحابُ والشِّيَعُ[38]

هذه، إذن، هي كل اللمحات النقدية التي استطعنا استخلاصها من شعر الجراوي. وهي في مجملها مجرد نظرات جزئية لا تمكننا من بلورة تصور واضح المعالم عن نقد صاحبنا الذي رأينا مجموعة من الدارسين يصفونه بالناقد. وفي انتظار العثور على المزيد من النصوص التي بإمكانها إثبات هذه الصفة، لا يسعنا إلا أن نردد مع من قال : «مالا يدرك كله لا يترك بعضه».

---

(37) الصيب والجهام : ص 265.

هذا ولابن الخطيب كتاب بعنوان : «السحر والشعر». وقد أبرز الدكتور علي الغزيوي هذين المفهومين في بحث له بعنوان : «مفهوم الشعر وعلاقته بالمصطلح النقدي عند ابن الخطيب بين النظرية والتطبيق»، نشر بمجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس، في العدد الخاص بندوة المصطلح النقدي وعلاقته بمختلف العلوم، ع 4، س 1409هـ — 1988م، ص : 210 — 230

(38) البيان المغرب : ص 209.

المصادر والمراجع المذكورة في العرض

1 ــ أبو العباس الجراوي، شاعر الموحدين : حسن الشبيهي حسني. مطبعة محمد الخامس، فاس، ط 1. 1406هـ ــ 1986م.

2 ــ أخبار البحتري : أبو بكر الصولي، تحقيق د. صالح الأشتر، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1384هـ ــ 1964م.

3 ــ الأعلام : خير الدين الزركلي، المجلد الأول، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 7، ماي 1986م.

4 ــ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب : ابن عذاري المراكشي، قسم الموحدين، تحقيق. محمد ابراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت، ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، دار الثقافة، الدارالبيضاء ودار الغرب الاسلامي، بيروت، ط 1، 1985م.

5 ــ البيان والتبيين : أبو عثمان الجاحظ، المجلد الرابع، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، سلسلة مكتبة الجاحظ، دار الفكر، بيروت، ط 4.

6 ــ ديوان ابن الرومي : تحقيق : د. حسين نصار، الجزء الثالث، وزارة الثقافة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، مطبعة دار الكتب، 1976م.

7 ــ ذكريات مشاهير رجال المغرب : عبد الله كنون، العدد السادس، مطبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت.

8 ــ شاعر الخلافة الموحدية، أبو العباس الجراوي : الأستاذ محمد الفاسي، مطبوعات جمعية قدماء تلاميذ مدرسة جسوس.

9 ــ الصيب والجهام والماضي والكهام : لسان الدين بن الخطيب، تحقيق : د. محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1973م.

10 ــ العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين : محمد المنوني، الرباط، ط 2، 1977م.
11 ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ابن رشيق القيرواني، تحقيق : د. محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1، 1408هـ ــ 1988م.
12 ــ الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة : أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي، تحقيق ابراهيم الأبياري، ط 2 مصر.
13 ــ لسان الدين ابن الخطيب والنقد : (مقال) د. إحسان عباس، مجلة العربي، وزارة الاعلام، الكويت، ع 323، محرم 1406هـ ــ أكتوبر 1985م، ص 102 ــ 104.
14 ــ لسان العرب : ابن منظور، المجلد الثاني، إعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت، 1389هـ 1970م.
15 ــ المصطلح النقدي في تراث أبي بكر الصولي، محمد ازهري، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا، نوقشت بقسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب بفاس، سنة 1990م، (مرقون).
16 ــ معجم الأدباء : ياقوت الحموي، الجزء الرابع، دار الفكر، بيروت، ط 3، 1980م.
17 ــ معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، 1399هـ ــ 1979م.
18 ــ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : أحمد المقري، المجلد الرابع، تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1406هـ ــ 1986م.